ISSN: 2706-6495

سرديات أدب الطفل في وعي النقاد
(البحث الأكاديمي السعودي أنموذجًا)

Child Literature Narratives in Critics' Awareness: Saudi Academic Research as a Model

د. وصفي ياسين عباس

أستاذ الأدب المساعد والنقد الحديث، قسم اللغة العربية، كلية العلوم والآداب بمحايل عسير، جامعة الملك خالد، المملكة العربية السعودية

البريد الرسمي: wasfi.eltall@yahoo.com

البريد الجامعي: wswaha@kku.edu.sa

الملخّص:

يهدفُ هذا البحثُ إلى تقديم قراءة نقدية لملامح الوعي النقدي في ثلاث دراسات أكاديمية سعودية لكل من (وفاء السبيّل، هلالة الحارثي، عبد الله العمري). وتتمثّل أهميته فيما يمكنُ أن يُشكِّلَ لبنةً في تأصيل الخطاب النقدي حول المضمون والخطاب والصورة في أدب الطفل، كما أنه يسهمُ في دعم مقصديه الكتابة في هذا المجال بشكل عام. يتوسَّل البحثُ بالمنهج المقارن وقوفًا على الخطوط المشتركة بين الدراسات الأكاديمية الثلاث، وما يميّزُ كلَّ واحدةٍ عن الأخرى، طارحًا عدَّةَ أسئلةٍ عن الممهدات البحثية والمصطلح والمنهج ودور النقد الأكاديمي، محاولًا الإجابة عنها. ومن ثَمَّ، يخلص البحثُ إلى أنَّ ما قدَّمه الباحثون الثلاثةُ، ليس مجرد قراءة عابرة لسرديات الطفولة في الأدب السعودي الحديث؛ بل سعوا لبناء مشروع نقدي طموح، كما أنَّ الدراساتِ الثلاثَ لم تؤدِّ إلى نفس المخرجات رغم الاتفاق بينها في بعض المدخلات، أضف إلى ذلك أنَّها شكّلت حجرَ الزاوية في توجُّه هؤلاء الباحثين، وأنَّ النقد حريٌّ به أن ينهضَ مع الطفل بدور مشابه ومساوٍ للدور الذي ينهضُ به أدبُه.

الكلمات المفتاحية: السرد، الأدب، الطفل، الأكاديمي، الوعي، النقد

ISSN: 2706-6495

Child Literature Narratives in Critics' Awareness: Saudi Academic Research as a Model

Dr. Wasfi Yassin Abbas

Assistant Professor of Arabic Literature and Criticism, Department of Arabic, College of Science and Arts, King Khalid University, Mahyel Assir - KSA

Email: wasfi.eltall@yahoo.com

Email: wswaha@kku.edu.sa

Abstract:

This research aims to provide a critical study on the features of critical awareness in the three following Saudi academic studies written by Wafaa Al-Sabeel, Hala Al-Harthi and Abdullah Al-Amri. The importance of this research lies in the fact that it constitutes a building stone in the establishment of the critical discourse on each of the terms: the content, discourse and conciets in children's literature. It also aims to contribute in supporting the intention of writing in this area in general. The method adopted in this research is the comparative approach. This approach has been adopted to find out the common features among the three academic studies and to distinguish each study from the other. This study asks several questions about the initial steps, terms, methodology, and the role of academic criticism in preparing a research paper. It also provides answers for them. Hence, the research concludes that what the three researchers provided is not merely a passing reading of childhood narratives in modern Saudi literature. Instead, they sought to build an ambitious critical project, and that the three studies did not lead to the same outputs despite the common elements among them in some of their inputs. In addition, this study formed a cornerstone of the researchers' approaches. This study, furthermore, concludes that criticism is to play with children a similar and equal role to that role played by children literature.

Keywords: Narrative, literature, child, academic, awareness, criticism

ISSN: 2706-6495

(أ) المقدمة

يختلفُ النصُ المكتوبُ للطفل عن غيره من النصوص المكتوبة لغيره؛ لتعلُّقه باشتراطات عديدة منها: الارتباط بالتربية، والاقتصار على الوعظ والتهذيب والإرشاد أحيانًا، والنهوض بتنمية الخيال، وتهذيب الذوق، وتطوير المهارات. وتنشغل الدراسات الأكاديمية لأدب الطفل بجوانب كثيرة منها: الشكل والمضمون، الصورة والخطاب. وسوف ينشغلُ متنُ هذا البحث، بفحص ثلاث دراسات أكاديمية تناولت سرديات أدب الطفل (خاصة القصص والروايات) في الأدب السعودي الحديث؛ هذه الدراسات هي:

١. **(قصص الأطفال في الأدب السعودي ١٤١٠ – ١٤٢٠هـ، دراسة موضوعية وفنية)** وفاء بنت إبراهيم السبيّل، مطبوعات النادي الأدبي بالرياض ١٤٢٤هـ. في الأصل رسالةٌ حصلت بها الباحثةُ على درجة الماجستير من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض عام (١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م).

٢. **(صورة الطفل في الرواية السعودية ١٩٩٠: ٢٠٠٦م)** هلالة بنت سعد الحارثي، مطبوعات كرسي الأدب السعودي، جامعة الملك سعود ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م. في الأصل رسالةٌ حصلت بها الباحثةُ على درجة الماجستير من جامعة الملك عبدالعزيز بجدة عام (١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م).

٣. **(الخطاب في قصص الأطفال السعودية، دراسة نقدية)** عبدالله بن عبدالوهاب العمري، مطبوعات كرسي الأدب السعودي، جامعة الملك سعود ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م. في الأصل رسالةٌ حصل بها الباحثُ على درجة الماجستير من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض عام (١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م).

هدف البحث:

يهدف البحثُ إلى: فحص ثلاث دراسات أكاديمية سعودية تناولت سرديات أدب الطفل الحديث والوقوف على ملامح الوعي النقدي فيها إزاء أبرز القضايا. الوقوف على حقيقة المشروع النقدي للدراسات المختارة والكشف عن اختلاف مخرجاتها رغم الاتفاق بينها في بعض المدخلات. إبراز دور النقد في النهوض مع الطفل بدور مشابه ومساوٍ للدور الذي ينهضُ به أدبُه.

أهمية البحث:

تتمثّل أهمية البحث في: أنه يمكنُ أن يُشكِّلَ لبنةً في تأصيل الخطاب النقدي حول دراسات المضمون والخطاب والصورة في أدب الطفل. كما أنه يسهمُ في دعم مقصدية الكتابة في هذا مجال أدب الطفل بشكل عام.

أسئلة البحث:

يحاول البحثُ الإجابةَ عن التساؤلات التالية: كيف تعاملت الدراساتُ الثلاثُ مع الممهدات البحثية؛ كالفرضيات العلمية والدراسات السابقة ومعايير اختيار العينات؟ كيف تناولت هذه الدراساتُ تعريفاتِها ومصطلحاتِها الإجرائيةَ في مجال أدب الطفل؟ ما المناهجُ النقديةُ التي اعتمدتها هذه الدراساتُ؟ وما مدى نجاحها في التطبيق؟ ما الإضافةُ التي شكّلتها هذه الدراساتُ في الخطاب النقدي السعودي؟

ISSN: 2706-6495

منهج البحث:

يتوسَّل البحثُ بالمنهج المقارن وقوفًا على الخطوط المشتركة بين الدراسات الأكاديمية الثلاث، وما يميّزُ كلَّ واحدةٍ عن الأخرى، طارحًا عدَّةَ أسئلةٍ عن الممهدات البحثية والمصطلح والممهدات البحثية والاصطلاح النقدي والأداة والأداء ودور النقد.

فرضية البحث:

تتساءل فرضية البحث عن طبيعة الدور الذي يمكنُ أن يقوم به النقدُ الأكاديميُّ حيال الكتابة للطفل؟

(ب) القراءة النقدية

١. الممهدات البحثية

يتولّدُ الحافزُ العلميُّ عند الباحثين **لاختيار موضوعاتهم البحثية**، بناءً على وجود شيء فريد لافت مختلف عمَّا حوله من الأشياء، أو اكتشاف نمط فكري ودراسته وشرحه وتقديم تفسيرات له، أو الوقوف على أوجه الاتفاق والاختلاف بين بعض الأنماط أو الظواهر، أو اختبار بعض الفرضيات والوصول إلى نتائج وتوصيات منهجية، أو غير ذلك من الأسباب.

كما أنَّ الدراساتِ البحثيةَ تحاولُ التأسيسَ لمشروعيتها وأهميتها العلمية واختلافها عمّا سبقها، عبر **تقديم الفرضيات العلمية والتصدِّي لأسئلة محورية** باعتبارها محركاتٍ للبحث، والتعبير صراحة عن **هدف الدراسة**.

وانطلاقًا من القاعدة البحثية التي تدعو إلى التراكُم والاستكمال بعيدًا عن الإقصاء والادّعاء، فإنَّ منهج الدراسات الجديدة، خاصة الرسائل الجامعية، **يستعرضُ ويفحصُ الدراساتِ السابقةَ** عليه، وقوفًا على أوجه الاختلاف، ونوع الإضافة التي سيقدمها.

أخيرًا، وبعد تحديد الهدف الرئيس للبحث ومحركاته، تأتي مرحلة **اختيار عينات البحث**، وهي مرحلةٌ خطيرةٌ جدًا؛ لأنَّ عمليةَ الاختيار لابد لها من معايير أبرزها الاتفاق في الخصائص بحيث تمثّل العينةُ المختارةُ خصائصَ الشرائح الغائبة.

من هنا، يجيبُ هذا المبحثُ عن التساؤلات التالية: كيف تعاملت دراساتُ (السبيّل، الحارثي، العمري) مع مثيراتها البحثية؟ وهل عبّرت صراحةً عن أهدافها وقدّمت فرضياتها؟ وكيف استفادت مما سبقها من دراسات؟ وهل استندت على معايير محددة لاختيار عيناتها ومتونها؟ وما هذه المعايير؟

(١-١) فيما يتعلّق **بالمثير البحثي**؛ فقد افتتحت (وفاء السبيّل) دراستها **(قصص الأطفال في الأدب السعودي ١٤١٠ – ١٤٢٠هـ، دراسة موضوعية وفنية)** بمجموعة من الأسباب أوجزتها في: "أنّ الدراسات المنجزة في مجال أدب الطفل **قليلة ونادرة** إذا ما قُورنت بمجالات الأدب الأخرى. أنَّ العناية بأدب الطفل هي ذاتها **عناية بمستقبل الأمة** وسبيل لنهضتها. أنَّ التزايد المستمر لقصص الأطفال بالسعودية، يستلزم **المواكبة النقدية**؛ نهوضًا بها. الرغبة في **التعريف بجهود** الأدباء السعوديين، وهذا الأمر تمت معالجته بشيئين هما: حصر الإنتاج السعودي لأدب الطفل خلال عقد زمني محدد، الدراسة الموضوعية والفنية لهذه القصص وصولًا لنتائج مفيدة ومؤثرة. أخيرًا، أنَّ الدراسات السابقة بهذا المجال **تناولت الموضوع بشكل يختلف** عمّا تطرحه دراستها". (السبيّل، ١٤٢٤ه، ص١، ٢)

ISSN: 2706-6495

أمّا (هلالة الحارثي)، في دراستها **(صورة الطفل في الرواية السعودية ١٩٩٠: ٢٠٠٦م)**، فقد برَّرت اختيارها للبحث في أدب الطفل، بأنه "لم يقُم أحدٌ بدراسة صورة الطفل في الأدب السعودي دراسة مستقلة، سواء في الشعر أو في السرد. كما أنّ إحكام الصورة في الرواية هو **المحك الحقيقي لنجاح الرواية**. وأيضًا، **لم تنل صورةُ الطفل الأدبيةُ حظَّها** من الدراسة، خاصة التي تعبر عن مجموعة من الخصائص الجمالية والتشكُّلات الدلالية والفنية والتي تحدُث عبر مستويات منها: ارتباط الطفل ببناء الشخصية، وعلاقته بتطور أحداث الرواية، وتأثيره في فنية اللغة الروائية. وفي ضوء الخطاب الروائي تكتسب صورة الطفولة الأدبية تحولًا نحو العلاماتية". (الحارثي، ٢٠١٤م، التوطئة والمقدمة)

عندما تطرّق **(عبدالله العمري)**، في دراسته **(الخطاب في قصص الأطفال السعودية، دراسة نقدية)**، لذكر حافزه البحثي اقتصر على "استشعاره **بأهمية مرحلة الطفولة** ودورها في بناء شخصية الجيل، وما للقصة من أثر بالغ في تكوين الطفل وتنشئته. وأن الخطاب في قصص الأطفال **لم يجد حظًا وافيًا** من الدرس". (العمري، ٢٠١٣م، المقدمة)

أي أنَّ الدراساتِ الثلاثَ، اتفقت حول العوز البحثي في موضوعها الذي لم ينل حظه الكافي من الدراسة واختلافه عمّا سبقه، ما جعل ذلك دافعًا وحافزًا رئيسًا. لكنّ دوافع دراسة (العمري والحارثي) استمدت خطوطها المقتضبة المبعثرة من دوافع دراسة (السبيّل) التي أتت واضحة منوّعة مرتّبة.

(٢-١) فيما يتعلّق **بتقديم الفرضيات العلمية والإعلان عن هدف الدراسة**، فإنَّ الدراسات الثلاث لم تتسق في هذا الأمر؛ لأن (العمري) **تغافل عن هدف الدراسة، مكتفيًا بالمحركات البحثية**؛ لذلك تساءل عن: ما مدى مناسبة الخطاب في قصص الأطفال لمستوى الطفل اللغوي؟ وما أبرز سمات هذا الخطاب؟ وما أساليب التشويق التي يتوسَّل بها الكُتّابُ؟ وما التقييم العام لمستوى هذه اللغة؟ (العمري، ٢٠١٣م، المقدمة)

أمّا (السبيّل والحارثي) **فلم نجد لهما في دراستيهما فرضياتٍ علميةً ولا أسئلة محورية**، مستعيضةً كلُّ واحدة منهما عن هذا الأمر، **بالتركيز على الهدف وحده**؛ حيث استهدفت (السبيّل): **توثيق قصة الطفل** في المملكة خلال عقد زمني محدد، و**دراسة أدب الطفل** كأحد جوانب الأدب السعودي الحديث، و**تقديم صورة لمستوى قصة** الطفل بالمملكة ومدى التزام الأدباء بالخصائص المميزة لهذه القصة، و**تحديد الاتجاهات الموضوعية والفنية** التي اتخذها بعض الكُتّاب والأدباء. (السبيّل، ١٤٢٤ه، ص٥)

كذلك، ركَّزت (الحارثي) على **الجانبين الفني والجمالي لصورة الطفل من خلال الرواية**، مستهدفةً **أسباب وجود الصورة وأثرها في البناء الروائي والتشكيل الفني**، وأطّرتها بشكل مدروس يمكِّننا من التعرُّف على **طبيعة الصور السائدة** عن الطفل في الرواية السعودية خلال الفترة التي حددتها، وبرَّرت سبب اختيارها لهذه الفترة بأنها تشكِّل مرحلة مهمة من مراحل تطور الرواية السعودية. (الحارثي، ٢٠١٤م، التصدير)

(٣-١) وبخصوص **الدراسات السابقة**، فقد وقفت (السبيّل) على **أربع دراسات**؛ هي: **(هدى محمد أحمد باطويل)** في رسالتها للماجستير (الإنتاج الفكري المطبوع للطفل في المملكة العربية السعودية دراسة تحليلية)، والتي رصدت حركة التأليف والنشر خلال الفترة (١٣٩٧: ١٤٠٦هـ). و**(آمال عبد الفتاح جزائري)** في رسالتها للماجستير (قصص الأطفال في المملكة العربية السعودية ١٣٩٧: ١٤١٠هـ)، والتي تناولت نشأة القصص وتطورها

وخصائصها وقيمتها الفنية والموضوعية. و**(نعمة عبد الله حويجي)** في رسالتها للماجستير (تحليل محتوى أدب الأطفال في ضوء معايير الأدب في التصور الإسلامي)، والتي حللت محتوى عشرين مجموعة قصصية لمعرفة مدى القرب أو البعد من أدب الأطفال وفق التصور الإسلامي. والدكتوران **(بكر محمد إبراهيم، محمد سليمان الأحمد)** في كتابهما (الطفل في الصحافة اليومية السعودية)، وهو دراسة وصفية تحليلية لواقع صفحات الطفل في ثلاث صحف سعودية (عكاظ، الجزيرة، اليوم) خلال عام ١٩٩٠م. (السبيّل، ١٤٢٤ه، ص٢، ٣)

من خلال فحص دراسة (السبيّل) نجد أنها قد استفادت من الدراسات السابقة عليها **بأربعة أشكال** مختلفة:

الأول؛ استكمال الجهود التي انشغلت بدراسة قصص الأطفال في السعودية والتي توقفت عند عام ١٤١٢هـ فأكملتها حتى عام ١٤٢٠هـ.

الثاني؛ الجمع بين التوثيق والتحليل الفني، أي أنها دراسة وببليوجرافيا في آن، خلافا لما قامت به (هدى باطويل) التي كانت دراستها توثيقية فقط.

الثالث؛ استلهام المنهج المعتمد في كتاب (الطفل في الصحافة اليومية السعودية) لجمع المواد وتقسيمها.

الرابع والأخير؛ الاقتصار على دراسة الإنتاج السعودي في قصص الأطفال، خلافا لما قامت به (آمال جزائري) التي جمعت دراستها بين كُتَّاب سعوديين وغير سعوديين.

وإذا قصدت (السبيّل) التراكُم والاستكمال، فإن (هلالة الحارثي) شرَّعت لاختلافها، حيث أشارت **لثلاث دراسات** سابقة؛ هي: (الطفل والمجتمع: صورة الطفل في الرواية المغربية) **لأحمد أزوري**، الذي حلَّل صورة الطفل وتمثُّلاتها في الرواية المغربية من الناحيتين النفسية والاجتماعية. (الطفولة والخطاب: صورة الطفل في القصة المغربية القصيرة) **لأحمد فرشوخ**، والذي وقف على المكونات النفسية والاجتماعية لهذه الصورة ورصد تفاعلاتها وتطرَّق إلى مستوياتها. (صورة الطفل في الرواية المصرية بعد عام ١٩٦٧م) **لمنير فوزي**، الذي عالج كيفية بناء شخصية الطفل وعلاقته بالتراث ورمزية الطفل. (الحارثي، ٢٠١٤م، التصدير)

بعد الاطلاع على دراسة (الحارثي) نلاحظ **وجهين للاستفادة** من الدراسات السابقة:

الأول؛ الهيكل الأساسي لدراستها، والذي ناقش كيفية بناء صورة الطفل في الرواية وعلاقات هذه الصورة ومستويات تأثيرها، تأثُّر بشكل واضح وملحوظ بكتاب (منير فوزي).

الآخر؛ استنساخ العنوان والفكرة العلمية من بيئة ما وإسقاطهما على بيئة أخرى وعينات جديدة مختلفة؛ هذا الأمر اعتبرته (الحارثي) كافيًا لتسجيل اختلافها؛ لأن نظرة الروائي السعودي، حسب قولها، "تختلف عن نظرة الروائي العربي في تشكيل صورة الطفل، فلكلِّ مجتمع صور وأبعاد تختلف عن غيره، مهما تشابهت في جانبها الإنساني." (الحارثي، ٢٠١٤م، التصدير)

على الجانب الآخر، تناول (العمري) الدراسات السابقة، بخصوص مبحث اللغة في دراسات أدب الطفل، مشيرًا إلى **باحث واحد** هو (إسماعيل السماعيل) و**خمس باحثات** هن (وفاء السبيّل، آمال جزائري، حبيب المطيري، رقية الفواز، منيرة القحطاني).

وتعلّقت إشارته إمّا **بعدم الاهتمام بالجانب اللغوي** كما عند (آمال جزائري، حبيب المطيري)، أو أنَّ الاهتمام كان **يسيرًا لم يتجاوز ثلاثين صفحة** كما عند (إسماعيل السماعيل، وفاء السبيّل، رقية الفواز، منيرة القحطاني)؛ لذلك حاول

ISSN: 2706-6495

تسجيل اختلافه قائلا: "إن الخطاب في قصص الأطفال لم يجد حظًا وافيًا في الدراسات السابقة المشار إليها، وهذا مما يزيد العبء على الباحث لسد هذه الثغرة ...". (العمري، ٢٠١٣م، المقدمة)

بعد قراءة دراسة (العمري) نجد أنه سجّل استفادته من الدراسات السابقة بشكل مختلف:

الأول؛ يُحسبُ له استكمالُ الجهود السابقة في دراسة قصص الأطفال والتي توقَّفت مع (السبيّل) عند عام ١٤٢٠هـ فأتَّمها حتى عام ١٤٣٠هـ.

الآخر؛ يُؤخذ عليه تقييم الإسهامات السابقة عليه **بعدد الصفحات** وليس بما تقدِّمه من جهد وقيمة. كما يؤخذ عليه أيضًا **عدم الدقة المنهجية**، عندما قال عن دراسة (وفاء السبيّل)، التي استمد فكرة موضوعه من توصياتها، "إنها ركزّت بحثها على المضمون فلم تتحدث عن اللغة إلا في حوالي عشرين صفحة، بصفتها عنصرًا من عناصر تسعة في الفصل الخامس". (العمري، ٢٠١٣م، المقدمة)، وبالعودة لدراسة (السبيّل) المطبوعة نجد أنها تتكون من أربعة فصول وليس خمسة، وأن عناصر البناء الفني لقصة الطفل التي ذكرتها كانت ستة وليست تسعة، وأن (السبيّل) تناولت الخطاب في أكثر من موضع وكان تركيزها واضحًا على الحوار والأسلوب باعتبارهما عنصرين من عناصر الموازنة في الفصل الرابع والأخير.

(٤-١) أمّا فيما يتعلَّق **بآليات اختيار عينات الدراسة**، فإنَّ (وفاء السبيّل) **استبعدت الإنتاج السعودي المترجم** بحُجة أنه لا يمثِّلُ الأدب السعودي إنما يمثّل الأدب المُترجم عنه، وهذا صحيح. لكنها استبعدت أيضًا، **الإنتاج السعودي المطبوع خارج المملكة، والإنتاج غير السعودي المطبوع داخل المملكة**، ولا ندري سببًا منطقيًا لذلك سوى الخوف من اتساع متن البحث بين يديها ما قد يترتَّب عليه من تفلُّت محتمل لخيوط البحث رغم الثراء المتوقع إضافته له. عمدت السبيّل أيضًا، إلى تقسيم هذه المواد إلى ثلاثة أنواع: **القصص المنشورة في كتب**، أو **المنشورة بمجلات الأطفال**: (باسم، الجيل الجديد، الشبل)، أو **المنشورة بملاحق الأطفال بالصحف**: (الجزيرة، عكاظ، اليوم) والمجلات (اقرأ، البنات، الشرق، المجلة العربية، اليمامة). هذه المعايير استمدتها من كتاب (الطفل في الصحافة اليومية السعودية)، للدكتورين (بكر محمد إبراهيم، محمد سليمان الأحمد).

استمدت دراسة (الحارثي)، مقولاتها من **ثلاث وثلاثين رواية** من روايات الكبار لهذه الحقبة، التي اعتبرتها مواكبةً لحركة الواقع وتتقاطع معه، لذلك **خلت الدراسة من روايات بعض الروائيين المتميزين** كعبدالعزيز مشري؛ لأن صورة الطفل لديه، حسب تعبيرها، لم تكن بالعمق المطلوب.

من ناحية أخرى، استهدفت دراسة (العمري) قصص الطفل التي **كُتبت بأقلام سعودية** خلال الفترة (١٤٢٠ : ١٤٣٠هـ)، على أن يكون اعتماد هذه القصص على النص الأدبي أكثر من الصورة. واستقام له وفق هذه المعايير **ثلاثٌ وأربعون قصة مفردة وثلاث مجموعات قصصية** كل مجموعة تحوي عشر قصص قصيرة تقريبًا. (العمري، ٢٠١٣م، ص١١)

وأشار العمري إلى **مصادر مواده؛** فبعضها استلهم الواقع، والبعض الآخر استلهم الدين والتاريخ، معرِّجًا على اتجاهاتها حيث قسَّمها لواقعي وتاريخي وخيالي، منتمية جميعها للحجم المتوسط، وقد أصدر أغلبَها المؤسساتُ التجاريةُ، وكان نصيب الجهات الحكومية، طباعة إحدى عشرة قصة فقط.

ISSN: 2706-6495

٢. الاصطلاح النقدي

التعريفاتُ أو المصطلحاتُ الإجرائية أو مصطلحاتُ الدراسة لابد أن تكون محددة واضحة، حتى يحدِّد الباحثُ وجهة نظره التي يتبنّاها وبكل بدقة ما يسهم في وضوح الرؤية تجنبًا للغموض أو إساءة الفهم، وحتى يحقق مبدأ الوحدة والموضوعية وعدم الانحياز، ويتجنّب أمرين: أولهما؛ اتساع المسافة بين تطبيق المصطلح وبين دلالته الحقيقية. وآخرهما؛ تفتيت المصطلح وتشظيه ودخوله فيما يشبه التفريعات الجانبية التي بدورها قد تستنفد الجهد، وقد تضلل الرؤية. من هنا، يجيب هذا المبحث عن السؤال التالي: كيف قاربت الدراساتُ الثلاثُة مصطلحاتِها الإجرائيةَ؟

(١-٢) في دراسة (وفاء السبيّل)، وفي **فصلها الثاني (أنواع القصص ومضامينها)**، أشارت إلى أن "المراجع العربية تخلط في مجال أدب الأطفال بين أنواع القصة، وتختلف الأسماء من مرجع لآخر، وأحيانًا نجد تعاريف متباينة لنوع قصصي واحد. كما أن الخلط لا يتوقف على أنواع القصة، بل يتعداه إلى تسمية القصة بالحكاية أو العكس". (السبيّل، ١٤٢٤ه، ص٥٧)

وللتخلُّص من هذا الخلط الاصطلاحي، اقترحت (السبيل)، "الرجوع إلى المصادر الأصلية التي انبثقت منها هذه الأنواع القصصية، أي المراجع الأجنبية المتخصصة في أدب الأطفال على اعتبار أن أدب الأطفال فن استقيناه من الآداب الأجنبية فنحن نسير على نهجه... بالإضافة إلى نضجه، وغزارة إنتاجه، وكثرة الدراسات النقدية المصاحبة له... على أن الاعتماد على المراجع الأجنبية لا يعني إهمال المراجع العربية، خاصة فيما يتعلق بالأنواع المرتبطة بديننا وبحضارتنا". (السبيّل، ١٤٢٤ه، ص٥٧) وأمام هذا التداخُل بين أنواع القصص، والحدود غير الواضحة بينها، لجأت (السبيّل) إلى تحديد خصائص كل نوع، و**الوقوف على الصفة البارزة فيه**.

عندما تعرّضت (السبيّل) لأنواع القصة في الأدب السعودي، حاولت جاهدةً وضع الحدود الاصطلاحية بين **الأنواع الخمسة التي حصرتها**: القصة الدينية المرتبطة بالقرآن والسنة، القصة الشعبية بأنواعها كالمثل والخرافة والحكاية الشعبية والأسطورة، القصة الخيالية الحديثة بأشكالها كقصص الحيوان والقصة الشعبية الحديثة وقصص الخيال العلمي وقصص التجسيد البشري للجماد، القصة الواقعية بنوعيها المعاصرة والتاريخية، وقصة السيرة سواء كانت تاريخية أو فنية. (السبيّل، ١٤٢٤ه، ص٦١: ٩٠)

بعدها، تناولت (السبيّل) **مصطلح المضمون** في قصة الأطفال، الذي وضعت له أربعة حدود هي: كل ما يُقدَّم للطفل من قيم ومعارف وخبرات ومهارات، ثم اجتهدت في تعريف كل حدٍّ منها. وأشارت إلى أن تحديد أنواع القيم وتصنيفاته له علاقة بعلوم الفلسفة وعلم النفس والاجتماع، وذكرت أن (وفاء جزائري) قد سبقتها **باعتماد تصنيف (فيليب فينكس)** للقيم مع إدخال بعض التعديلات لإكسابه صفة الشمولية، وبلغ عددها سبع قيم: (اجتماعية، عقلية، أخلاقية، جمالية، روحية أو دينية، ذاتية، اقتصادية)، ثم قررت (السبيّل) أنّ التصنيف السابق لا يخرج عن تصنيفها الثلاثي للقيم التي حصرتها في القيم: الإيمانية والتربوية والجمالية. (السبيّل، ١٤٢٤ه، ص٩١: ٩٤)

أمام علاقة مضمون قصة الطفل بالعمر، اجتهدت (السبيّل) في وضع الحدود اللازمة لمراحل نمو الأطفال مستعينة بالنظريات التربوية الحديثة التي تناولت على التريب **الجانب الذهني ثم الجانب الاجتماعي والنفسي وأخيرًا الجانب الأخلاقي**. وعلى أساس هذه النظريات، قام دارسو الأدب بتقسيم الطفولة إلى عدة مراحل رغبةً في تحديد الأدب المناسب لكل مرحلة، والتفتت (السبيّل) إلى نقطة مهمة بخصوص التصنيف، حيث **"لا يكفي النظر إلى مضمون القصة**

وحدها، بل يجب النظر إلى البناء الفني" (السبيّل، ١٤٢٤ه، ص١٠٥)، فقد يناسب مضمون القصة مرحلة عمرية ما للطفل، بينما قالبها الفني قد لا يناسب المرحلة ذاتها، إنما يناسب مرحلة تالية.

في الفصل الثالث (البناء الفني لقصص الأطفال)، قاربت (السبيّل) القالب الفني لقصص الأطفال؛ حتى يتسنّى للدارسين سهولة تصنيف هذه القصص حسب مراحل الطفل العمرية، وفي سبيل ذلك وضعت تأسيسًا نظريًا لبعض الاصطلاحات، "يمكن أن يُعد مرجعًا تقوم على أساسه النماذج القصصية المختلفة المستمدة من أدب الطفل السعودي". (السبيّل، ١٤٢٤ه، ص١٠٥)

وفي إطار الشكل الفني لقصة الطفل، قاربت (السبيّل) مصطلحات القصة المصورة، والقصة القصيرة، والأقصوصة، والقصة والرواية. وفي إطار عناصر البناء الفني، تحدّثت عن المقصود بعناصر الزمان والمكان والشخصيات والحبكة والحوار والأسلوب وأهميته واعتماده من ناحية إصدار حكم بالقيمة. لم تغفل (السبيّل) **قيمة الرسوم والصور** في قصص الأطفال التي تقدم الحكايات بالخطوط والألوان بدلا من الكلمات والجمل، فالصور قد تعكس الموضوع أو المضمون، وقد تفسره وتوضحه، وقد تضيف إليه. ثم وقفت على الوسط الفني المستخدم في رسم هذه الصورة، والأسلوب الفني المتبع من حيث الألوان والخطوط والفراغ، وعناصر الصورة وطرق تصميمها وعلاقتها بالمضمون. لقد زاوجت (السبيّل) بين التأسيس الاصطلاحي والمطابقة الناتجة عن الاستقراء والتفكيك والوصف، فمع كل تعريف أتت بذكر النماذج التي تمثّل كل نوع.

في الفصل الرابع (الموازنة)، وقفت (السبيّل) على مصطلح الموازنة وشروطها ودوافعها وأسبابها، ورأت أن الموازنة تعني المقابلة بين شيئين من باب النقد أو الوصف للوقوف على الجيد من الرديء. وتشترط تحكيم الحاسة الفنية، وضوح قواعد النقد، كفاية الناقد الفنية ونزاهته وموضوعيته، وجود طرفي اتفاق واختلاف بين الشيئين". ومن دوافعها؛ الوصول لحكم عام لمستوى قصة الطفل في الأدب السعودي خلال الفترة المختارة، عند مقارنتها بقصة الطفل في الفترة التي تسبقها، من خلال النظر في: مضمون القصة ومناسبتها للأطفال، مدى عنايتها بمواصفات قصص الأطفال، بنائها الفني. ومن أسبابها؛ قلة القصص الموجّهة للأطفال خلال الفترة (١٣٧٩: ١٤٠٩هـ) مقارنة بفترة البحث (١٤١٠: ١٤٢٠هـ)، قلة البحوث والدراسات المعنية بالموازنة، طرح آراء نقدية يمكنها توجيه كتابة قصص الأطفال بالمملكة. (السبيّل، ١٤٢٤ه، ص١٩٥، ١٩٦)

انشغلت (السبيّل) بالموازنة بين قصتين مصورتين هما: (**الحمامة المطوقة** لعبد الكريم الجهيمان، دار أشبال العرب ١٤٠٤هـ)، و(**الحمامة المطوقة** لمكتبة العبيكان، سلسلة قصص التلوين ١٤١٦هـ). وبين قصتين غير مصورتين هما: (**شجيرة الزيتون** لفهد اليحيا، مجلة اليمامة ١٤٠٦هـ، **مغامرة الورقة الحزينة** لمها الجهني، صحيفة اليوم ١٤١٦هـ).

وخلصت إلى أنه **في حين تطورت القصة المصورة من حيث الشكل والمضمون لفترة البحث عن الفترة التي تسبقها، فإن القصة غير المصورة المنشورة في ملاحق الصحف والمجلات ضعيفة في بنائها الفني وغير مكتملة فنيا مقارنة بنظيرتها في الفترة الزمنية السابقة**. (السبيّل، ١٤٢٤ه، ص٢٤٧)

لقد **أظهرت (السبيّل) وعيًا نقديًا حيال قضية مضمون قصة الطفل وفنياتها ومدى مناسبة ذلك للعمر**؛ لأن العلماء والباحثين اختلفوا في تقسيم وتحديد مراحل الطفولة والنمو، فهناك، كما يقول المخزنجي، "مَنْ يستند في تقسيمه

ISSN: 2706-6495

إلى المميزات أو السمات الجسمية للنمو، وهناك مَنْ يجعل العلاقات الاجتماعية بين الطفل والبيئة مبدأ لهذا التقسيم، بينما آخرون يجعلون السن أو الفترات العمرية المتتابعة أساسًا". (المخرنجي، ١٩٩٧م، ٤٤)

وإذا كانت (السبيّل) قد مالت إلى تقسيم مراحل الطفولة إلى ثلاثة جوانب، **الذهني والاجتماعي النفسي ثم الأخلاقي**، فإن **(الهيتي)** له تقسيمات أخرى حيث يرى، أنَّ تقسيمات مراحل الطفولة "لا تشكّل تقسيمًا لحياة الطفولة بقدر ما تؤلف تصنيفًا لأشكال ومضامين أدب الأطفال خلال كل مرحلة. ورغم وجود حدود بين كل مرحلة من مراحل الطفولة، إلا أن هذه الحدود ليست فاصلة، حيث تتداخل فيما بينها إلى حد كبير. ولكن الأطفال جميعًا يمرون فيها بتتابع.

أمَّا هذه المراحل فهي: مرحلة الواقعية والخيال المحدود (٣ – ٥ سنوات)، مرحلة الخيال المنطلق (٦ – ٨ سنوات)، مرحلة الطفولة (٩ – ١٢ سنة)، المرحلة المثالية (١٢ - ١٥) (الهيتي، ١٩٨٦م، ١٨)، والمراحل الأربع من وجهة النظر الأدبية البحتة. (حلاوة، ٢٠٠١م، ٧٩).

وعليه، فقد تعددت تصنيفات أدب الأطفال حسب وجهة النظر؛ فمنها "التصنيف حسب الجنس الأدبي كالكتب المصورة والأدب التقليدي والأدب القصصي وغيرهم. أو التصنيف حسب الفئات العمرية باعتبار أدب الأطفال أدبًا مقابلا لأدب الكبار، وهي تقسيمات ليست قاطعة. أو التصنيف حسب الكتب المسلسلة وهي ليست مقصورة على كتب الأطفال مثل كتب الخيال العلمي والجريمة وهي كتب كانت موجهة للبالغين في أول الأمر". العرداوي، والحمداني، ٢٠١٤م، ٩٦: ٩٨)

إن **أبرز ما أضافته دراسة (السبيّل) هو خدمة الكتابة للطفل**، من خلال الربط بين مضمون القصص والمراحل العمرية للأطفال، حيث إن تحديد المرحلة العمرية المناسبة لمضمون قصة الطفل يفيد عملية الإبداع نفسها، ويضع أيدينا على المراحل الأكثر عوزًا، والوسائل المتاحة لتطوير الإبداع في كل مرحلة، ما ييسِّر على الآباء والأمهات عملية اختيار القصص المناسبة لأبنائهم وبناتهم طبقًا للأعمار. وفي صفحتي (١٦٥، ١٦٦)، ركّزت (السبيّل) على العلاقة بين الأسلوب والمراحل العمرية، وما يجب على الأديب مراعاته، محددةً ثلاثة أنواع من الأساليب تبعًا للمراحل العمرية الثلاث للطفل، وهي مسألة تربوية جدًا تخدم الكتابة نفسها وتطورها في ضوء المستجدات.

إذًا، تناولت (السبيّل) في قضية المصطلح، معظم التعريفات الاصطلاحية المتعلقة بقضايا أدب الطفل، دون أن تتعرض للمصطلح نفسه، **وأسست مع كل فصل لمصطلحات جديدة**، في عملية أشبه بالتفتيت الاصطلاحي لأدب الطفولة، وتقريب كل ما يخدم المصطلح من أجناس اقتربت منها الدراسة.

(٢-٢) سجَّلت **(هلالة الحارثي)** لدراستها تميّزًا من خلال **وقوفها على مصطلح (الطفولة)** الذي استعانت فيه بالمراجع اللغوية والنفسية، وقدمت نبذة تاريخية موجزة عن تطوُّر المفهوم لدى الشعوب، واستعرضت أبرز المآسي الي تعرَّضت لها الطفولةُ في كل الحضارات حتى جاء الإسلام.

ثم أشارت إلى انشغال الكتابة الروائية بصورة الطفل المهمَّش الضائع التعيس الذي نسيته المجتمعات، وإلى أنَّ كثيرًا من الأعمال الروائية العالمية التي حظيت بإعجاب (فرويد) واهتمامه، تلك التي جعلت محورها خبرات الطفولة والصراع الدائر حول الطفل؛ مثل رواية (أوديب) لسوفوكليس وراوية (هاملت) لشكسبير وراوية (الأخوة كرامازوف) لديستوفسكي. (الحارثي، ٢٠١٤م، ص١٠)

ISSN: 2706-6495

بعد هذه الوقفة الافتتاحية، لم تلجأ (الحارثي) إلى مقاربة أي مصطلح آخر استعملته في دراستها؛ كأبعاد الشخصية أو الموروث الشعبي أو النمو والثبات أو غيرها، ربما لاعتبارها أنَّ هذه المصطلحات شائعةٌ مبذولةٌ لا تحتاج تقريبًا اصطلاحيًا، **ويكفيها تقريب المعنى اللغوي** ثم الانتقال مباشرة إلى دلائل هذا الاصطلاح في النماذج الروائية التي اختارتها.

وإذا كانت (الحارثي) قد اجتهدت في وقوفها التاريخي على مصطلح (الطفولة)، فقد **فاتها عدم الوقوف على مصطلح (الصورة) وتطوره التاريخي** أيضًا، وأهمية دوره في أدب الأطفال، خاصة وأنَّ هذا الاصطلاح جزءٌ أصيلٌ في عنوان الدراسة.

(٣-٢) لجأ (عبد الله العمري) في دراسته إلى تفكيك المصطلحات أيضًا، هديًا بما فعلته (السبيّل)، حيث وقف في التمهيد على تعريف اللغة في قصص الأطفال متعللا بأنَّ الحديث عن اللغة في القصة هو حديث عن كل شيء فيها؛ "لأنها الرحم التي تُولد في داخله الوظائف السردية والدلالات الفنية التي توحي بها بنية القص". (العمري، ٢٠١٣م، ص١)

في الفصل الأول (السرد والوصف)، عرَّف الباحث السرد لغةً واصطلاحًا، وعندما تعرّض لأنماط السرد في عينة الدراسة، وقف على مصطلحات كالسرد بضمير الغائب، والسرد بضمير المتكلم. ثم عرَّف الوصف لغةً واصطلاحًا.

وفي الفصل الثاني (الحوار)، عرَّف (العمري) الحوار لغةً واصطلاحًا، كما وقف **في الفصل الثالث (تقويم اللغة)** على تعريف الوضوح والغموض، لغةً واصطلاحًا.

رغم ذلك، **فاته في اللغة والخطاب، أن يقف على التراكيب اللغوية** وأثرها في أداء المعاني المختلفة، وما يمكن أن تسهم به في إنتاج أدب يناسب الأطفال حسب مراحلهم السنية المتتابعة.

٣. الأداة والأداء

إنَّ تحديد المنهج النقدي في العلوم الإنسانية، هو محاولة لتطبيق منهج علمي على مادة غير علمية، نتيجة أصلها الإنساني المتقلب المتمرد على قوانين الثبات؛ لذلك كان لابد من ربط المدخل النقدي بالغاية، لأن الغاية من التحليل تحدد طبيعة المنهج، كتحديد قوانين الظاهرة وتحليل النصوص تفسيرها وتقريب الأدوات المساعدة على ذلك، التي تيسرها للمتلقي.

والمنهج هو الطريقة والوسيلة، وهو الفرضيات والإجراءات العقلية التي ينتهجها الباحث وصولا لنتائج منطقية، لذلك يرتبط المنهج بالدراسات العلمية أكثر من ارتباطه بالدراسات الإنسانية؛ لأنها تلقي بظلالها على النصوص، وتأتي بنتائج تعسُّفية إذا كانت غير مناسبة، لذلك لابد أن تختار النصوص مناهجها وليس العكس.

ينهض هذا المبحث بالإجابة عن السؤال التالي: هل أعلنت الدراسات الثلاث عن مناهجها النقدية أم أدخلتها دائرة المسكوت عنه؟ وإلى أي مدى تجلَّت هذه المناهج في الشق التطبيقي من هذه الدراسات؟

والواقع، أنَّ هذه الدراسات المختارة لم تكن انطباعية، باعتبارها دراسات أكاديمية؛ لأنه يصعب اعتمادها والمضي فيها دون منهج نقدي محدد، حيث أعلنت كل دراسة عن المنهج الذي ينتظمها صراحةً منذ البداية.

ISSN: 2706-6495

(١-٣) وظَّفت (وفاء السبيّل) **المنهج الاستقرائي** في الوصف والتقويم لقصص الأطفال، حيث وصفت الإنتاج الموجّه للأطفال في الأدب السعودي، واستنتجت أبرز السمات العامة للنصوص القصصية المدروسة. لذلك يقوم منجز (وفاء السبيّل) النقدي حول أدب الطفل على خمسة مباحث:

١. مصادر قصص الأطفال: كالقرآن الكريم والحديث الشريف والسيرة النبوية وسيرة الأعلام والتاريخ العام وتاريخ المملكة والبيئة والتراث والمأثورات الشعبية ومجالات الحياة الحديثة والترجمة والاقتباس.

٢. أنواع هذه القصص وتعريف كل نوع وذكر مثال له، وتحليل مضامين هذه القصص وصولا إلى القيم الشائعة فيها.

٣. البناء الفني للقصص، من حيث القالب الفني وعناصر هذا البناء والتي تشمل البيئة الزمانية والمكانية والشخصيات والحبكة والحوار والأسلوب ورسم الصور.

٤. الموازنة الموضوعية والفنية بين قصتين مصورتين وأخريين غير مصورتين ودوافع وأهداف ونتائج هذه الموازنة وصولا لحكم عام لمستوى قصة الطفل بالمملكة خلال تلك الفترة.

٥. ببليوجرافيا لأبرز دراسات أدب الأطفال المنشورة في السعودية.

أعلنت (السبيّل) في مقدمة دراستها عن منهج واحد، لكنها مارست في الشق التطبيقي أربعًا:

١. المنهج التاريخي الذي استعرضت فيه تطور أدب الطفل وقد أعطى هذا المنهج، الذي لم تعلن عنه الدارسة صراحة بحسب رأيها، نتائج طيبة في الوقوف على أمور جد مفيدة.

٢. المنهج الاستقرائي في تحليل النصوص المختارة في الفصلين الثاني والثالث.

٣. المنهج الوصفي المقارن بالفصل الرابع والذي كشفت فيه عن نقاط الالتقاء والاختلاف بين القصص المختارة للمقارنة لكون الموازنة بحد ذاتها عملا نقديا.

٤. المنهج المسحي الإحصائي في الببليوجرافيا والتوثيق.

صحيح أنه لا يكاد يخلو بحث أكاديمي من ملامح المنهج التاريخي لتأصيل مصطلح ما أو إثبات هوية ما، لكننا نتساءل عن **الأسباب المنهجية التي يمكن أن تقف وراء تعدُّد المناهج النقدية داخل الدراسة الواحدة**، مع أنَّ من بداهة هذا النوع من الدراسات الإكاديمية هو التوسل بمنهج واحد وصولا إلى نتائج موحّدة.

(٢-٣) وعن منهجها النقدي، قررت **(هلالة الحارثي)**، أنها تناولت ظاهرة صورة الطفل وفق دراسة تحليلية تتوخَّى الانفتاح على المناهج النفسية والاجتماعية والنقدية،

معتمدة على **استقراء النصوص** الروائية وتحليلها للوصول إلى فهم أعمق مثرٍ لهذه الصورة. وتبتعد هذه الدراسة عن التحليل الوثائقي والتاريخي الساعي لتصنيف الروايات وترتيبها وفق أغراض محددة. (الحارثي، ٢٠١٤م، المقدمة) لذلك يقوم منجز (هلالة الحارثي) النقدي حول أدب الطفل على ثلاثة مباحث:

١. البنية الروائية لصورة الطفل من حيث الأبعاد، المشكلات، الموروث الشعبي.

٢. البنية الروائية وعلاقة الطفل بالأبطال، المكان والزمان.

٣. تأثير صورة الطفل، أنماطها، بين النمو والثبات، التذكير والتأنيث.

ISSN: 2706-6495

صحيح أن (الحارثي) **التزمت منهجيًا بمنهج واحد هو الاستقراء**، لكنه ليس هناك منهج نقدي، اسمه المنهج التحليلي؛ لأن "جميع المناهج النقدية تتخذ من التحليل أداة لقراءة النصوص ما ينفي وجود منهج يُدعى بالتحليلي" (بني عامر، ٢٠١٩م، ٩٤) لذلك، كان على (الحارثي) أن تتجنب التعميم عند التوسُّل بالمنهج، فعملها كان وفق المنهج الاستقرائي الساعي إلى تحليل النصوص وصولًا إلى نتائج وإصدار أحكام قيمة، وهو ما قامت به (الحارثي) فعلًا.

(٣-٣) أمَّا **(عبد الله العمري)**، فقد ركّز منهجه على دراسة اللغة، وكما يقول: إن الحديث عن اللغة بالقصة "في جوهره، حديث عن كل شيء في القصة؛ لأنها الرحم التي تُولد في داخله الوظائف السردية والدلالات الفنية التي توحي بها بنية القص. واللغة عنصر أساس من العناصر المكونة للقصة وهي: الحدث، والمغزى أو الرؤية، والبناء اللغوي، والشخصية، والبيئة. واللغة هي التي تحمل عناصر القصة كافة إلى القارئ. فالبناء أساسه لغوي، والتصوير المكثَّف للحدث والشخصية يتكئ على اللغة، والدرامية تولِّدها اللغة الموحية. إذًا، اللغة بتجلياتها المتعددة هي الخطاب الذي يتناوله (العمري) في دراسته. (العمري، ٢٠١٣م، ص١: ٤)

يذكر العمري أيضًا، أنه بعد اقتحام علم اللغة لمجال النقد الأدبي، اختلف التوجُّه من الاهتمام بخارج النص حيث المؤلف والبيئة والعصر والمتلقِّي والظروف المحيطة بإنتاج النص، إلى الاهتمام بنقد النص من الداخل عبر مادته الأساسية ومكوناته الأولية. وفق هذه الرؤية، اختلفت مداخل النقاد إزاء دراسة قصص الأطفال ما بين التحليل اللغوي الذي ينظر للنص من الداخل مستبعدًا المضمون، وبين التحليل السياقي الذي ينظر للنص من الخارج باعتبار الظروف المحيطة.

لذا فإن هذه الدراسة، **وإن كانت ميممة نحو البناء اللغوي إلا أنه لابد من الخوض في قضايا المضمون**؛ وذلك أني لا أستطيع الحكم على نص معين إلا بعد معرفة فكرته وغايته ومدى مناسبته للمتلقي ونحو ذلك من الأمور التي لابد منها للوصول إلى نقد لغوي شامل. (العمري، ٢٠١٣م، ص٦)

إنَّ منجز **(عبد الله العمري)** النقدي حول أدب الطفل يقوم على ثلاثة مباحث:

١. السرد والوصف من حيث أنماطه ووظائفه، أساليبه، مستويات اللغة.

٢. الحوار وأنواعه ووظائفه وسماته، الفصحى والعامية.

٣. تقويم اللغة من حيث الوضوح والغموض، القوة والضعف، الابتكار والتقليد.

في النهاية، نلحظ تداخلًا في منهجية الكتابة في نقد أدب الطفل، مع أنَّ الدراساتِ المختارةَ كُتبت كبحوث أكاديمية إلا أنها تحاولُ الجمعَ بين عدة مناهج واتجاهات في البحث، خاصة ما نجده من جمع بين الجانب الفني مع التاريخي أو المسحي أو الاستقرائي.

٤. دور النقد

يتكفّلُ هذا المبحثُ بالإجابة عن فرضية البحث التي تتساءل عن طبيعة الدور الذي يمكنُ أن يقوم به النقدُ الأكاديميُّ حيال الكتابة للطفل؟

وطالما أنّ أدب الطفل، في إحدى وظائفه، لا يستهدف إمتاع الطفل وتسليته فقط، بقدر ما يساهم في توجيهه وبناء شخصيته وغرس القيم المختلفة في نفسه، **فحريٌّ بالنقد أن ينهض بدور مشابه، دور هادف، يتمثّل في مساعدة**

ISSN: 2706-6495

الأدب نفسه على قصدية الإنتاج وفق خصائص المراحل العمرية، والتركيز على دور المضمون والقيم المبثوثة فيه، والاستعانة بالمقومات الجديدة القادرة على تطوير الشكل بما يتناسب وطبيعة المرحلة.

ولا شك أن إعداد معايير لنقد أدب الأطفال، للفصل في مدى مناسبة هذا الأدب لجمهور الأطفال من عدمه، ما يساعد مستقبلا على فرز هذا الأدب وتصفيته عبر إخراج الكثير مما يُنسب إليه، ومما كُتب للأطفال أصلا، وإدخال مواد أخرى لا تزال خارجه، إنما أُعدت خصيصا للكبار.

إذن أدب الأطفال؛ هو تلك المواد المعدة خصيصا للطفل من قبل الكبار، سواء كانت مواد لغوية أو مرئية أو سمعية أو أي مواد تستجدها الوسائط الحديثة عبر الناقل. أي باختصار، هو "الأدب الموجّه إلى القراء والمستمعين في الفئة العمرية من ٠ – ١١ سنة، وأنه غالبا ما يستعين بالرسوم التوضيحية والصور". (بني عامر، ٢٠١٩م، ٩٤)

كذلك نقد أدب الأطفال، عليه ألا ينظر بعين واحدة؛ **فكما يفحص البناء الفني وآلياته، عليه أن يحفر في المضمون ومكوناته، ولا ينسى طرفا ثالثا مهما هو طريقة العرض وأسلوب التقديم**. هذه الميزة نهضت بها (السبيّل) حين جمعت في نقدها بين الأضلاع الثلاثة؛ فتناولت المضمون في الفصل الثاني، والقالب الفني في الفصل الثالث، وطريقة العرض في موازنة الفصل الرابع. بينما اقتصر كل من (العمري والحارثي) على القالب الفني فقط، حيث تناول الأول اللغة والخطاب، وتناولت الأخرى فنيات الصورة.

يحار كثير من أولياء الأمور والمربون عند اختيار كتب للأطفال، فقد لا يعلمون المناسب لهم، وقد لا يجدون من يعينهم على ذلك، **هنا يأتي دور نقد أدب الأطفال** في الأخذ بيد هؤلاء وتذليل مهمتهم، انطلاقا من أن كل مرحلة عمرية لها احتياجاتها سواء من ناحية المضمون أو الأسلوب، أي المحتوى والشكل، واعتمدت جل الكتب المتخصصة في أدب الأطفال في تقسيمها على المراجع التربوية والنفسية. لذلك تم تقسيم مراحل الطفولة إلى أربع: الطفولة الأولى (١ -٣)، الواقعية والخيال المحدود (٤ - ٥)، الخيال المطلق (٦ - ٨)، البطولة والمغامرة (٩ - ١٢). (بني عامر، ٢٠١٩م، ١٠١: ١٠٣)

إنَّ **تأثير كتب الأطفال بشقيه الإيجابي والسلبي، لا يقتصرُ على الأطفال وحدهم**، بل يمتدُّ للكبار أيضًا، أولئك الذين كانوا ذاتهم أطفالًا في يوم ما، ونظرًا لأن كتب الأطفال تخاطب شريحة محددة وفق طريقة عرض مخصوصة ولغة سهلة وتراكيب بسيطة وقد تتضمن بعض الصور والرسوم.

هذه الكتب تكون مؤثرة عندما تعيد الوشائج بين الكبار وأنفسهم في مرحلة الصغر، وقد تكون أكثر حميمية إذا ما كانت النصوص التي يقرؤونها الكبار هي نفسها التي قراؤوها خلال طفولتهم، فالكثير من الناس تعاوده الذكريات والحنين إلى الماضي إذا وقعت تحت يده نسخة الكتاب الذي قرأه في طفولته، رغم أن أسلوبها ومحتواها قد لا يروقه الآن. وتصبح الطفولة كما وصفها (ت إس إليوت): "إننا نعلم أن الطفولة أمر يجب دفنه ونسيانه، رغم أن جثمانها يمتلك العزيمة لأن يظهر على السطح من وقت لآخر". (رينولدز، ٢٠١٤م، ٤١، ٤٢)

إنَّ الكتابة للأطفال، مهنة صعبة المراس، نظرًا لوجود اشتراطات مرهقة تتعلق بالتنظيم الشديد، واللغة المناسبة، والمحتوى اللائق، وطريقة العرض الجاذبة، ومقصديه الكتابة عبر استهداف شرائح محددة من المتلقين، كل هذا يفرض نوعًا من القوانين الذاتية المتعلقة بعملية الإبداع التي لا يقربها سوى المتمرسين. أمام ذلك نسأل هل صار لأدب الطفال هوية وأسلوب؟

ISSN: 2706-6495

إنَّ أدب الأطفال يحاول جاهدًا أن يخلق لنفسه هوية دون دور معترف به، ويحاول أيضًا أن يحدد لنفسه أسلوبًا دون أن يفقد جوهره؛ **فالأثر الذي يمكن أن يتركه أدب الأطفال في تشكيل شخصيات الأطفال عقليًا ولغويًا ونفسيًا واجتماعيًا، غالبا، هو أمر غير معترف به خارج المؤسسات التعليمية**، وقد يتم التغاضي عنه أو التعامل معه بما لا يليق. فما بالنا بالنقد العامل في حقل أدب الأطفال! إنه يعاني أيضًا مما يعانيه أدبه من عدم الاعتراف بدوره، أو على الأقل عدم الالتفات لأهميته، وربما لحداثته سبب مباشر في ذلك، حيث إن الدراسات النقدية العربية في مجال أدب الأطفال كانت شحيحة جدًا في تسعينيات القرن العشرين، ولم ترتفع وتيرة الاهتمام بأدب الطفل ونقده إلا مع بداية القرن الحالي، الحادي والعشرين، ونظرا لطردية العلاقة بين عمليتيّ الإبداع والنقد، فإننا نقول إن تزايد حركة النقد في مجال الأطفال مرجعه تنامي عملية الإبداع وتنوّعها وثرائها حاليًا.

(ج) الخاتمة والنتائج

بعد القراءة النقدية لملامح الوعي النقدي في ثلاث دراسات أكاديمية سعودية لكل من (وفاء السبيّل، هلالة الحارثي، عبد الله العمري)، والوقوف على كيفية تعاملها مع الممهدات البحثية، والمصطلحات الإجرائية، والمناهج النقدية، والإضافة التي شكّلتها في الخطاب النقدي السعودي، نخلُص إلى النتائج التالية:

١. ما قدَّمه هؤلاء الباحثون في مقارباتهم، **ليس مجرد قراءة عابرة لسرديات الطفولة في الأدب السعودي الحديث؛ لأنهم سعوا إلى بناء مشروع نقدي طموح قدّموا من خلاله رؤى نقدية واعية لقراءة هذا النمط الإبداعي**، فإن (وفاء السبيّل) كرّست عملها في دراسة وتوثيق قصص الأطفال في المملكة خلال الفترة ما بين (١٤١٠: ١٤٢٠هـ) مستكملة على الجهود التي سبقتها للباحثات: (هدى محمد أحمد باطويل، آمال عبد الفتاح جزائري، نعمة عبدالله حويحي) والتي توقفت عند عام ١٤١٠هـ. ثم جاء (عبد الله العمري) مكمِّلا هذا المشروع؛ من خلال دراسة قصص الطفولة للعقد التالي خلال الفترة ما بين (١٤٢٠: ١٤٣٠هـ). أمّا (هلالة الحارثي) فقد استوفت طرفا آخر من سرديات أدب الأطفال بالمملكة وهي الرواية، حيث وقفت على صورة الطفل في الروايات السعودية. وبذلك، فإن هذه الجهود النقدية التي تبدو فردية في ظاهرها، قد عملت وفق منظومة واحدة في حقيقتها؛

لأنها استكملت على بعضها البعض في الفترة الزمنية أولًا وفي النوع الأدبي ثانيًا؛ حيث عمل كل من (السبيّل والعمري) على فحص القصص، بينما ركَّزت (الحارثي) على الروايات، استيفاء لأبرز السرديات التي تخصصت في الكتابة للطفل داخل المملكة.

٢. لم تقدم الدراسات الأكاديمية الثلاث نفس المخرجات فيما يتعلق بكتابات أدب الطفل، لماذا؟ لأن دراسة الجانب القصصي لكل من (السبيّل، والعمري) تخدم بشكل مباشر الكتابة للطفل الذي يمكنه الاحتكاك بها والإفادة منها عن طريق الاطلاع عليها، بينما **دراسة الجانب الروائي التي قامت بها (الحارثي) لا تخدم كثيرا الكتابة للطفل لأنها في الأصل كتابة للكبار**، وتأتي الكتابة فيها للطفل عرضية وقد لا يتمكَّن الطفل من الاطلاع عليها حتى لو كانت طفولته متأخرة، لذلك فدراسة (الحارثي) تفيد الروائيين أكثر ما تفيد الطفل نفسه، بينما تخدم دراسة (السبيّل، والعمري) الطفل نفسه لأنها تفيد الكُتاب فيما يقدمونه له. والأكثر ثراء وخدمة لكتابة الأطفال هو دراسة قصصهم التي يتعاملون معها بشكل مباشر، أو الوقوف على ترددات الطفل في السير الذاتية الشهيرة باعتبارها مرحلة مؤثرة في مسيرة أصحابها.

ISSN: 2706-6495

٣. شكّلت الدراساتُ الثلاثُ **حجرَ الزاوية في توجُّه هؤلاء الباحثين فيما بعد مرحلة الماجستير**، حيث أطروحة الدكتوراه والعمل والإبداع، وظهر اهتمامهم بالبحث والعمل والكتابة في مجال أدب الطفل:

على مستوى البحث؛ جاءت أطروحةُ الدكتوراه لـ (وفاء السبيّل) بعنوان (قصص الحيوان بين كليلة ودمنة وحكايات أيسوب: دراسة أدبية) وقد حصلت عليها عام ١٤٢٨ ه، من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. وعلى مستوى العمل؛ كانت محررة بمجلة (الشبل) للأطفال، ورئيسة تحرير بمجلة (سنابل) للأطفال. أمّا على مستوى الإبداع؛ فلها مجموعة قصصية للأطفال بعنوان (حكايات أمونة).

في المقابل؛ استكملت (هلالة الحارثي) دراستها حول الرواية بعيدًا عن أدب الطفل، حيث كانت أطروحتها في الدكتوراة بعنوان (التراث السردي العربي في الرواية السعودية ١٤١٠- ١٤٣٢ هـ)، وقد حصلت عليها عام ١٤٣٥ ه، من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. وتعمل حاليًا أستاذًا مشاركًا للأدب الحديث بجامعة الملك عبد العزيز بجدة.

أمّا (عبد الله العمري)، فإنه مازال طالبًا للدكتوراه، ويعمل حاليًا محاضرًا بجامعة الملك سعود، ولم يستدل الباحث على توجُّهه في الدكتوراه حتى اللحظة.

إذًا، **مجال أدب الطفل، استغرق على (السبيّل) كل حياتها؛ بحثًا وعملًا وإبداعًا**، بينما اكتفى كل من (الحارثي والعمري) بمجال البحث فقط.

٤. **لم تأبه الدراسات الثلاث بتحديد مفهوم الطفولة**، رغم وقوف (الحارثي) على مفهوم أدب الطفولة، على اعتبار أنه مفهوم شائع مبذول. لكن المفهوم لا يتم تحديده بالعمر الزمني وحده، ولا بالعمر العقلي وحده، ولا بالعمر القرائي وحده، ولا المرحلة الدراسية وحدها؛ لأن كل أساس من هؤلاء رغم ما له من مزايا إلا أنه لا ينهض وحده بالمهمة. لذلك حدد الدارسون النفسيون الطفولة بأنها المرحلة من الولادة حتى المراهقة، أي أن التحديد الزمني هو أفضل التحديدات؛ لأنها تجعل كاتب أدب الأطفال يواجه معضلة الفروق الفردية بين الأطفال وبقية البشر. وهناك "مناهج تركز على الجمهور المستهدف، ومناهج أخرى تنشأ عن دراسة الطفولة،

وأخرى تراعي التفاعل بين الصورة والنص. ومع ذلك فبوجه عام، تُدرس الكتابة للأطفال بالطرق نفسها التي تُدرَّس بها النصوص الأخرى، رغم حقيقة أن كتب الأطفال تُصنَّف على أساس الفئة العمرية أكثر من الفترة، أو الجنس الأدبي، أو مؤلفيها، أو غيرها من أسس التصنيف المحتملة تعني النزعة لاستخدام المناهج أكثر من غيرها" (رينولدز، ٢٠١٤م، ٤١)

٥. اختلف الباحثون حول تحديد مفهوم أدب الأطفال، في مسألتين هما (أبوريشة، ١٩٨٩م، ٢٤، ٢٥): **الأولى؛ (مقصدية الكتابة)** هل هو الأدب الذي تتوفر فيه مقصدية الكتابة للأطفال، أي الذي تم إعداده خصيصًا لهم؟ أم أنه ذلك الأدب الذي يناسبهم من أدب الكبار؟ أي يستطيعون قراءته وفهمه؟ **الأخرى؛ (حدود الكتابة)** هل أدب الأطفال هو المقابل الصغير لأدب الكبار؟ أي هل هو جنس أدبي مستقل يتساوى رأسًا برأس مع القصة والرواية والقصيدة والمسرحية والمقالة، أم تدخل فيه أيضًا الكتب العلمية والمعرفية والموسوعات والوسائط المعلوماتية انطلاقا من تعريف الموسوعة البريطانية لأدب الأطفال بأنه تلك المادة المكتوبة والرسوم المصاحبة المعدة خصيصا لها؟

كيف تعاملت الدراسات الثلاث مع المسألتين السابقتين؟ وما الدليل؟ لقد اقتصرت الدراسات الثلاث في اختيار موادها على (مقصدية الكتابة)، سواء القصص المكتوبة خصيصا للأطفال خلال عقدين كما فعلت (السبيّل) وما بعدها (العمري) أو روايات الكبار التي وقفت على مرحلة الطفولة كما فعلت (الحارثي)، ولم تتطرق أيٌّ من الدراسات المختارة إلى قضية (حدود الكتابة) وكتابة أدب الأطفال التي قد تضم الكتب العلمية والمعرفية والموسوعات والوسائط المعلوماتية. وهو ما يتفق مع رؤية (أحمد زلط) في تعريفه لأدب الأطفال والوقوف على قضية (حدود الكتابة)، حيث قال إن أدب الأطفال هو ذلك "الإبداع الأدبي الموجَّه للطفولة بمراحلها، خاصة من سن ما قبل المدرسة إلى نهاية الطفولة المتأخرة، وأشكاله التعبيرية: المنظوم والمنثور من فن الأدب، ويجب ألا يسبح خارج حدود دائرة الأدبي إلى النتاج المعرفي العام... فمحاولة بعض الكتاب المحدثين إقحام النتاج المعرفي (تاريخي أو ثقافي أو علمي) إلى أدبيات الطفل يُعدُّ هدمًا للمفهوم اللغوي والاصطلاحي لأدب الطفل، وأولى بأصحاب هذا النتاج الفكري، وهو غزير ومتنوع، أن يدرجوه تحت مظلة تخصصات أخرى مثل ثقافة الطفل بمعناها الواسع، أو فروع العلوم الإنسانية والتطبيقية وهي جد كثيرة ومتنوعة". (زلط، ١٩٩٧م، ٢٥، ٢٦)

(د) المصادر والمراجع

أولا المصادر:

١. الحارثي، هلالة بنت سعد (٢٠١٤م): ***صورة الطفل في الرواية السعودية ١٩٩٠: ٢٠٠٦م.*** مطبوعات كرسي الأدب السعودي، جامعة الملك سعود.

٢. السبيّل، وفاء بنت إبراهيم (١٤٢٤هـ): ***قصص الأطفال في الأدب السعودي ١٤١٠ – ١٤٢٠ هـ، دراسة موضوعية وفنية.*** مطبوعات النادي الأدبي بالرياض.

٣. العمري، عبد الله بن عبد الوهاب (٢٠١٣م): ***الخطاب في قصص الأطفال السعودية، دراسة نقدية***. مطبوعات كرسي الأدب السعودي، جامعة الملك سعود.

ثانيًا المراجع:

٤. أبوريشة، زليخة عبدالرحمن (١٩٨٩م): ***أدب الأطفال في الأدب العربي الحديث، الأطر والنظرية والتطبيق.*** رسالة ماجستير، بالجامعة الأردنية.

٥. حلاوة، محمد السيد (٢٠٠١م): ***مدخل إلى أدب الأطفال. مدخل نفسي اجتماعي***. مؤسسة حورس الدولية بالإسكندرية، سلسلة الرعاية الثقافية للطفل، الكتاب الأول.

٦. رينولدز، كيمبرلي (٢٠١٤م): ***أدب الأطفال مقدمة قصيرة جدًا.*** ترجمة: ياسر حسن. الطبعة الأولى، القاهرة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة.

٧. زلط، أحمد (١٩٩٧م): ***أدب الطفولة أصوله ومفاهيمه رؤى تراثية.*** الطبعة الرابعة، القاهرة، الشركة العربية للنشر والتوزيع.

ISSN: 2706-6495

٨. بني عامر، عاصم (٢٠١٩م): ***المنهج بين الحضور والغياب: مقاربة في نقد السيرة الذاتية في المملكة العربية السعودية.*** السجل العلمي. ملتقى النقد الأدبي. الدورة السابعة. السيرة الذاتية في الخطاب النقدي السعودي. الطبعة الأولى، الرياض، النادي الأدبي بالرياض.

٩. العرداوي، عبد الإله عبد الوهاب-الحمداني، هاشمية حميد (٢٠١٤م): ***أدب الأطفال بين المنهجية والتطبيق.*** الطبعة الأولى، عمّان، دار الرضوان للنشر والتوزيع.

١٠. المخرنجي، السيد أحمد (١٩٩٧م): ***الطفل العربي واقعه وحاجاته.*** د. ط، مصر، دار التحرير بالزقازيق

١١. الهيتي، هادي نعمان (١٩٨٦م): ***أدب الأطفال. فلسفته، فنونه، وسائطه.*** الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة بالاشتراك مع دار الشئون الثقافية العامة في بغداد، سلسلة الألف كتاب (الثاني).

جميع الحقوق محفوظة © 2020، د. وصفي ياسين عباس، المجلة الأكاديمية للأبحاث والنشر العلمي.

(CC BY NC)